عقيدة الإمام الأشعري

مذهب السواد الأعظم من المسلمين في الأصول

تأليف

مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي العطّاس

دار الأصول
الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت

الموزعون المعتمدون

الجمهورية اليمنية :

١. مكتبة تريم الحديثة (تريم)
هاتف ٠٠٩٦٧٥٤١٧١٣٠

٢. دار العلم والدعوة (تريم)
هاتف ٠٠٩٦٧٥٤١٩٢٣٦

٣. دار الفقيه (تريم)
هاتف ٠٠٩٦٧٥٤١٦٥٦٧

٤. مكتبة الصفا (عدن)
هاتف ٠٠٩٦٧٢٢٥٩٩٨٦

الإمارات العربية المتحدة :

دار الفقيه للنشر والتوزيع (أبو ظبي)
هاتف ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢٠

الكويت :

دار الضياء (حولي)
هاتف ٠٠٩٦٥٢٦٥٨١٨٠

سوريا :

المشرق للكتاب (دمشق)
هاتف ٠٠٩٦٣ ٩٤ ٦٦٩٥٩٥

الأردن :

مكتبة الرازي (عمان)
هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٦١٠٦

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخه أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر .

الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت
هاتف الجوال ٠٠٩٦٧٧٣٣٨٠٤٩٠
E-mail: daralasool_2004@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم) رواه ابن ماجة مرفوعا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة أبدا ويد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم ومن شذ شذ في النار) رواه الترمذي وأبو نعيم والحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم : (سألت ربي أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها) رواه الإمام أحمد بن حنبل وغيره مرفوعا .

المقدمة

من خلال مواقعنا على الشبكة الدولية ، كنت أتلقى بين الحين والآخر رسائل يستفسر أصحابها عن عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري في الأصول وعن صحة ما تقوله بعض الفرق المعاصرة عنها وعن الإمام الأشعري بوجه عام ، وقد ظهر لي من مضمون بعض هذه الأسئلة ، أن أصحابها كانوا متأثرين بالكثير من المغالطات التي درج عليها وقام بنشرها المجسمة، حول الأشعري والأشاعرة في مختلف العصور.

والحقيقة أن هذا الجانب العَقَدِي قد كتب فيه أهل العلم والمعرفة، مؤلفات ودراسات وشروح قيمة عديدة، أَثْرَتْ المكتبة العربية والإسلامية وخدمت العقيدة الإسلامية جيلا بعد جيل ، لكن العناية والاهتمام بالمطولات من هذه المؤلفات والدراسات والشروح يظل في الوقت الحاضر مقصورا على أهل الاختصاص والبحث في المعاهد والأكاديميات وليس مما يسهل على الكثير من الشباب درسه وفهمه في عصر التخصصات المتباينة والمشاغل المتنامية التي تحيط بالشباب من كل حدب وصوب.

وفي المقابل فإن المختصرات التي تركز على أصول العقيدة عند الأشاعرة فقط دون ذكر أدلتهم، برغم مالها من فوائد وفضل على الطلبة والمبتدئين في العصور الماضية، لم تعد تروي تعطشا إلى التفصيل والتدليل في الوقت الحاضر، أو تشبع نهما في المعرفة، أو تجيب على أسئلة كثيرة حائرة، في غياب ذكر الأدلة عند الأشاعرة وبعض ردودهم على المخالفين والمعترضين، وفي خضم الطرح المتواصل لعقيدة المجسمة وإحاطة رموزهم بهالات العصمة، وفي جوار الكتب والمواقع الإلكترونية الكثيرة التي تشرح أصول المجسمة من جهة وتحط من صحة وقيمة عقيدة الأشاعرة من جهة ثانية.

وخصوصا وأن الكثير من أصحاب المختصرات في عقيدة الأشاعرة والماتريدية المعروفة بعقيدة أهل السنة والجماعة، كانوا في الماضي وحتى وقت قريب ، يتحاشون التوسع في مسألة البحوث العَقَدية أصولاً وأدلةً وردوداً على المخالف، وكانوا يحرصون في الوقت نفسه على التعامل مع موضوع العقيدة بإفراط في الحذر، منعا لما يرونه تعمقا

قد يفضي إلى الحيرة أو إلى تشويش عقائد الناشئة والعامة، لكن هذا الإفراط في الحذر ربما أدى -في عصرنا الذي أصبح مفتوحا على كل الاتجاهات والتيارات- إلى تفريط في إقناع شباب متعطش إلى المعرفة والوضوح في هذه المسائل وإلى نكوص عن الإجابة عن أسئلة كثيرة ومستجدة يطرحها عصر المعلومات الذي يتدفق فيه على الشباب، كم كبير من المعارف التي يختلط فيها الغث بالسمين والحق بالباطل.

وصدق أبو الطيب المتنبي حين قال : ... **وبضدِها تتبينُ الأشياءُ**

ولا جدال في أن خلو الساحة من مجالسَ ومدارسَ البحوثِ المعمقة في عقيدة أهل السنة والجماعة وأدلتها وعرض ما يخالفها، ومن الكتابة المتصلة في ذلك بأسلوب العصر ومنهجه ، والتحرج الشديد من فتح باب الحوار المباشر أو المكتوب في هذا الجانب المهم، والعزوف عن الاطلاع على أقوال كل الفرق ومعرفة حقيقة ما هي عليه، قد أوجد عزوفا عن الاهتمام بمعرفة حقيقة مذهب الأشعري في الأصول ، وأصبحت أعداد كبيرة من المسلمين ومن كافة الأعمار والشرائح الاجتماعية تظن أن الأشاعرة والماتردية مبتدعة أو متأثرون بأطروحات الفلاسفة ، وأن أصول المجسمة ، هي العقيدة الإسلامية الصحيحة التي يجب التمسك بها وتأسيس الاعتقاد عليها ، بل وتبادر إلى تكفير كل من خالف عقيدة المجسمة أو فند حججها.

وفي خضم كثرة الأسئلة والتساؤلات التي ترد إليَّ حول عقيدة الأشاعرة ، ممن لا عذر لي في الرد عليهم، وفي ضوء الحقائق التي أشرنا إليها آنفا حول المطولات والمختصرات في أصول العقيدة أقدمتُ على جمع وإعداد هذه الرسالة المتواضعة عن مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري في الأصول، بشكل يرتب النتائج على المقدمات قدرَ المستطاع ويعتمد في نقل مذهب الأشعري عن الثقات من أعلام الأشاعرة ، وقد جعلت الرسالة قسمين :

القسم الأول : أشرت فيه إلى الحالة العَقَدية بوجه عام عند البعثة المحمدية، وأسباب نشوء المذاهب العَقَدية والنحل، والتحول الأساسي في البحث والجدل وأسبابه ونتائجه، كما أوردت فيه بعضَ أقوال علماء السلف والخلف حول أهمية شرح وتفصيل أصول

العقيدة الصحيحة وأدلتها والدفاع عنها، كما أوضحت منهج السلف في التفويض مع التنزيه والخلف في التأويل مع الاعتدال.

أما **القسم الثاني** من هذه الرسالة : فقد خصصته للإمام الأشعري، ترجمة ، وسلوكا ، ولأسباب تحوله عن الاعتزال إلى التوحيد والتنزيه والجمع بين النقل والعقل ، مع شرح حال المسلمين قبل ظهور مذهب الإمام الأشعري ، وكيف اتخذ وتلامذته خط الاعتدال الوسط في أصول العقيدة بين الإفراط من طرفيه عند المجسمة من جهة والمعطلة من جهة أخرى، وكيف أثبت عدم التعارض بين العقل وما صح وثبت من النقل مع تحليل ما تتداوله الأيدي من كتب منسوبة إلى الإمام الأشعري .

ثم بعد ذلك أوضحتُ مذهبَ الإمام الأشعري في أصول العقيدة -قدر ما يسمح به المقام والهدف من تسطير هذه الرسالة- من مصادر المذهب الموثوقة والمتمثلة في ما كتبه الإمام الأشعري وما سطره أعلام الأشاعرة المشهود لهم بالصدق والتقوى والأمانة وغزارة العلم وقوة الحجة، غير مدعيا الإحاطة فيما كتبت أو العصمة والكمال .

والناس حيال أي قضية من القضايا الكبرى في مجال الدين أو أمور الدنيا المتعقلة بالجماعة الإنسانية ينقسمون إلى أقسام ثلاثة :

١) **موافق** : بحكم الموروث الاجتماعي التراكمي ، أو بعامل من عوامل العصبية المشتركة مع من يوافقه ، أو بدافع من الانبهار السطحي برموز معينة في العقيدة أو السياسة أو في الجوانب الروحية في ظل تعبئة إعلامية طويلة ومستمرة ، أو بسبب منافع ومصالح حسية أو معنوية يوفرها له ما يتعصب له ويخشى من فواتها إن هو احترم حق المخالف في طرح ما عنده أو تقبل أسلوب الحوار الواعي المهذب مع المخالف سعيا وراء الحقيقة .

٢) **مخالف** : لا يقبل مراجعة أو حوارا أو حقا لغيره في الاختلاف معه مهما كانت قوة حجة المخالف وأدلته بدافع من ضغينة شخصية على من يختلف معه بسبب من العِرق أو المذهب أو الموطِن أو تفاوت المكانة الاجتماعية المكتسبة، أو بأسباب مشتركة مع الصنف الأول وتتمثل في الانبهار السطحي برموز معينة في العقيدة أو السياسة أو في

الجوانب الروحية في ظل تعبئة إعلامية طويلة ومستمرة ، أو في منافع ومصالح حسية أو معنوية يوفرها له ما يتعصب له ويخشى من فواتها إن هو احترم حق المخالف في طرح ما عنده أو تقبل أسلوب الحوار الواعي المهذب مع المخالف سعيا وراء الحقيقة .

٣) **متواضع** : للحق والعدل، مدرك بأن فهمه نسبيا كبشر ، قابلٍ للخطأ كما هو قابل للصواب في كل ما يجد أمامه من قضايا قديمة أو معاصرة ، باحثٍ في الوقت نفسه عن الحقيقة أينما وجدت، محترِمٍ لحق الآخر في الاختلاف معه، ساعٍ إلى الحوار الواعي والمهذب مع الآخر المخالف لمزيد من الفهم ومعرفة حقيقة ما عند الآخر من مصدره الصحيح وليس من مصادر خصومه المضللة والمبالغ فيها ليتعاون مع هذا المخالف فيما يتفقان فيه ويعذر بعضهما بعضا فيما يختلفان عليه دون أن يفسد ذلك الاختلاف للود والصدق والعدل قضية بينهما ، مؤمن بأن الحكمة ضالة المؤمن يسعى إليها أينما وُجدت وعند من وُجدت ، حماه الله بفضله وكرمه من آفات العصبية والسطحية والانبهار ومن الضغينة الشخصية على من يخالفه أو يختلف معه .

والصنف الثالث هذا من البشر هم الذين أتوجه بكتابي المتواضع إليهم وأهديه لهم وعلى الله وحده أتكل وبه أستعين ، ومنه ألتمس الهداية والتوفيق والسداد.

الفقير إلى الله :

مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي العطاس

الحالة العامة

عند البعثة المحمدية

في ظل نظام مؤسَّس على السخرة والتمايز الطبقي الصارم ، وفي مجتمع جاهلي مغرق في جاهليته، يعبد أهله ما ينحتون، ويعيشون مما ينهبون، ويتوارون خجلا من بعض ما ينجبون، فيدفنون بناتهم أحياء في بطون الصحاري وغياهب الرمال ، القوي منهم يأكل الضعيف والكبير يظلم الصغير والسيد يستعبد من دونه .

وفي ظلام عقدي دامس من حول هذا المجتمع مكون من أديان وملل شتى :

منهم من قالوا لنبيهم : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ وهم الذين قالوا أيضا لنبيهم قبل أن تجف أقدامهم من ماء البحر الذي نجاهم الله بعبوره من فرعون وبطشه وجنوده ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ ، وعبدوا عجلا جسدا بمجرد أن غاب عنهم نبيهم وظلوا حوله عاكفين.

ومنهم من اخترقهم الفريق الأول بحقده وتآمره وعصبيته فانحرف بهم عن دعوة نبيهم المبنية على المحبة والرحمة والعدالة والتواضع إلى تدمير وحروب وحقد حتى قال أحد مبشريهم : إنني عندما أقرأ العهد القديم الذي اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية المصدر الأساس للمسيحية أجد نفسي وقد وصلت إلى مناحيم بيجن أو إلى آريل شارون وليس إلى السيد المسيح عليه السلام .

ومنهم قوم يقودهم فلاسفة كلما اصطدموا بجسم أو جوهر أو عرَض من أعراض هذه الأجسام والجواهر جعلوا له إلها خرافيا في مملكة خرافية أسطورية من ذكور وإناث يتزاوجون ويتزاورون ويختلفون أحيانا بل ويتناحرون.

ومنهم صابئة عبدوا الأجرام العلوية كأصحاب الهياكل الذين يعتبرون الشمس إله كُل إله .

ومنهم حرَّانية يرون أن الخالق واحد في الأصل كثير بتكاثر الأشخاص في رأي العين التي يتشخص الواحد بأشخاصها وتحل ذاته أو جزء من ذاته فيها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومنهم الثنوية المجوس الذين عبدوا النار وقالوا بخالقين اثنين : النور خالق الخير والظلام خالق الشر على اختلاف فِرقهم ، التي منها : المزدكية ، التي تقول: بأن المعبود قاعد على كرسيه في العالم الأعلى على هيئة قعود خسرو (المِلك) في العالم الأسفل تعالى الله عن ذلك.

ومنهم أخذت الحشوية ثم الفرقة السلفية القول بـ: (أن الله يجلس على عرشه جلوسَ مماسةٍ واستقرار) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وهو ما قاله ابن تيميه في أكثر من موضع من كتبه.

ووراء تلك الأمم : أمم تنوعت ضلالاتها وشركها من دهريين وطبيعيين نفوا وجود الصانع المدبر الحكيم، ومن وثنين نفوا ما وراء الحس وأنكروا النبوات وقال بعضهم بتناسخ الأرواح وتنقلها بين الحيوان والإنسان .

في هذا الخضم المتلاطم من الضلال والجبروت والجهالة ، بعث الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله بدعوة الحق والتوحيد والهداية التي ختم بها الرسالات وخلَّص بها الإنسان من آلهة الضلال والهمجية، وأطلق العقل من عقال الخرافة والتعصب والجمود.

وللمرء أن يتصور رسولا يبعثه الله في هذه الدياجير المظلمة في مجتمعه ومن حوله ويكلّفه خالقه وباعثه جلت قدرته بأعباء رسالة تتعدى حدود مجتمعه الصغير في مكة لتشمل العالم بأسره شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، من حيث المكان، وتغطي الأعوام والقرون والعصور إلى قيام الساعة من حيث الزمان، وتضطلع بمهمة هدم متواضعات حاطها أصحابها بهالات من القداسة والعصمة وحشدوا حولها أضخم وأقوى الجيوش أكبر عناصر القوة في عصرهم، لأنها كانت مصدر رزقهم وسطوتهم وجبروتهم سيطرتهم على المجتمعات الإنسانية بشكل مقيت.

ومن هذا التصور يستطيع المرء أن يدرك جسامة المسؤولية وثقل المهمة التي ألقاها الخالق جل شأنه على نبيه وحبيبه محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فكان لها أهل، وكان هو الأمين المأمون الذي بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به كل غمة.

وللمرء أن يتصور أيضا حجم المشقة والعناء والمعاناة التي تحملها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله في سبيل دعوته والتي تعجز عن احتمال بعض منها الجبال الشوامخ والأطواد الراسخة .

لقد أدى هذا النبي العظيم ، الرؤوف الرحيم ، الصادق الأمين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، الأمانة كأعظم ما يكون الأداء ، وبلّغ الرسالة بأوفى ما يكون التبليغ، وكان التوفيق والنصر والنجاح بفضل الله وعونه حليفه في كل خطوة وحركة ، وكان الانحسار والاندحار والهزيمة في ظل دعوته المباركة، حليف الكفر والشرك وقرين الجهل والجبروت والجمود .

لقد ارتكزت الدعوة الإسلامية المحمدية على ثلاث قواعد رئيسة :

أولاً : الإيمان بالله الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وتنزيهه جلت قدرته عن مشابهة خلقه وعن أن يحل في حادث أو أن يكون محلا للحوادث ، فكل ما عداه مخلوق حادث وهو وحده الخالق القديم الذي ليس كمثله شي، وأن كل ما يتصور في الأذهان فالله تعالى بخلافه ، وأن سيدنا وحبيبنا محمد الهاشمي القرشي العربي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله هو النبي والرسول المعصوم خاتم الأنبياء وسيد الأنبياء والمرسلين والأولين والآخرين الذي نسخ الله بشريعته كافة الشرائع قبله ، وأن الإيمان بكافة ما جاء به عن الله تعالى واجب ، وأن من يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه .

ثانياً : توضيح الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية في العبادات والمعاملات، لما فيه خير البشرية وأمنها واستقرارها ونموها والحكم بما أنزل الله وكما أراد جلت قدرته في كل شأن من شؤون الدنيا والدين .

ثالثاً : الوصول بمكارم الأخلاق وقواعد السلوك إلى الغاية القصوى في السمو والجمال والإبداع من خلال المثل الأعلى الذي مثَّله سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وقدَّمه آله الأطهار وصحبه الأخيار، فقد وصفه ربه بأعظم وأشمل وصف حين خاطبه عز من قائل حكيم بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ . وحدد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله جوهر ومضمون رسالته العظيمة حين قال : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

ولم يكن الصحابة في وجود الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله في حاجة إلى اجتهاد في مسائل العقيدة والشريعة والسلوك، لأنه كان المرجع الذي لا ينطق عن الهوى وكان قوله الفصل ورَدُّهُ الجامع المانع في كل مسألة تطرح عليه ، وكانوا يسجلون منه وعنه كل صغيرة وكبيرة من كلامه وفعله وسلوكه الذي أصبح منهلا للأمة بل وللإنسانية جمعا والمصدر الأساس الثاني للتشريع الإسلامي.

والحقيقية فإن صفاء الذهن العربي بعد أن زكّته الدعوة المحمدية من عاهات الشرك والخرافة والضلال، وما يتمتع به الإنسان العربي من حرية في النظر والحركة والتعبير والانتقال، و ما تمتاز به الصحراء العربية من رحابة وفسحة نظر، ومن مجال واسع منطلِق للفكر والذكر والتفكر في الفضاء الكوني الذي خلقه الباري جل شأنه وأبدعه، قد كان له أكبر الأثر في صرف العقل العربي عن الانغلاق في المجرّد، وعن التيه في مسارب التكلف، وعن الإيغال في مفاوز البحوث المتعسفة والشاذة في مسائل العقيدة.

يقول الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه :

وجميع أطراف هذا العلم –أي علم التوحيد– يحصرها النظر في ذات الله تعالى وفي صفاته سبحانه وفي أفعاله عز وجل، وفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما جاءنا على لسانه من تعريف الله تعالى فهي إذن أربعة أقطاب:

القطب الأول : النظر في ذات الله تعالى فنبين فيه ، وجوده ، وأنه قديم ، وأنه باق ، وأنه ليس بجوهر ، ولا جسم ، ولا عرَض ، ولا محدود بحد ، ولا هو مخصوص بجهة ، وأنه مرئي –أي : يوم القيامة بلا كيف– كما أنه معلوم، وأنه واحد .

القطب الثاني : في صفات الله تعالى ونبين فيه أنه حي ، عالم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متكلم ، وأن له حياة ، وعلما ، وقدرة ، وإرادة ، وسمعا ، وبصرا ، وكلاما، وأن هذه الصفات زائدة على الذات ، وقديمة ، وقائمة بالذات ، ولا يجوز أن يكون شيء من الصفات حادثا.

القطب الثالث : في أفعال الله تعالى وفيه سبعة دعاوي، وهو أنه لا يجب على الله تعالى التكليف ولا الخلق ولا الثواب على التكليف ولا رعاية صلاح العباد ولا يستحيل تكليف ما لا يطاق ولا يجب عليه العقاب على المعاصي ولا يستحيل منه بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل يجوز ذلك.

القطب الرابع : في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما جاءنا على لسانه من الحشر والنشر والجنة والنار والشفاعة وعذاب القبر والميزان والصراط.

انتهى من «الاقتصاد في الاعتقاد» .

أسباب نشوء النِّحَل

والمذاهب الفكرية

بعد انتقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله إلى الرفيق الأعلى، وانقضاء خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وجزء كبير من خلافة عثمان رضي الله عنه ، نَجَمَ صراعا سياسيا بين المسلمين ليس هنا محل شرح أسبابه ومجرياته ونتائجه.

وبدأت في آخر خلافة سيدنا عثمان تتشكل فرق من داخل الإسلام وخارجه بلغت أُوجها في الاصطفاف ووضوح الملامح خلال الفترة الأخيرة من خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخصوصا بعد التحكيم في صِفِّين ومقتل الإمام علي على يد خارجي شقي مارق والصلح بين الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان ، وكان ذلك الاصطفاف السياسي الذي تقنّع بقناع فكري وعقائدي يتوزع في ثلاث فرق رئيسة وهي :

(١) **الخوارج** : الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه بعد التحكيم في معركة صِفِّين، رغم أنهم كانوا هم الذين ضغطوا من أجل الاستجابة لذلك التحكيم وقبوله. وهم الذين كفّروا من عداهم بعد ذلك وأرسلوا قولتهم الشهيرة : (لا حكم إلا لله) التي وصفها الإمام علي بأنها : (كلمة حق يُراد بها باطل) لأن الحكم لله والمنفذ لحكم الله لا بد أن يكون إماما عادلا من خلق الله.

(٢) **الباطنية الغلاة** : الذين قالوا بوجود معاني باطنة تتناقض مع المعاني الظاهرة للآيات القرآنية تناقضا تاما، وغلوا في الإمام علي وبعض أولاده لا حباً فيهم بل استغلالا للمحن التي تعرضوا لها وكان هدف ذلك الغلو الممقوت في المقام الأول هو شق الصفوف وزعزعة عقائد المسلمين.

(٣) **أحبار اليهود والنصارى والمجوس** : وكهّانهم ودعاتهم الذين خفتت أصواتهم في عهد النبوة وفي ظل قوة المسلمين المستمدة في الصدر الأول من الخلافة الراشدة. ثم

وجدوا في الصراع السياسي الإسلامي بعد ذلك حلقة ضعف حاولوا النفاذ منها من خلال التشكيك في عقائد المسلمين وخصوصا في مباحث ذات الله وصفاته وأسمائه ومن هؤلاء أيضا برز فريق آخر من النواصب الذين جعلوا من بغض النبي وآله والتشكيك في تاريخهم وأنسابهم هدفا ومنهجا وخطةَ عملٍ طويلة المدى متصلة الحلقات.

التحول الأساسي في البحوث والجدل

بعد انتشار الإسلام على نطاق كوني واسع وتواصل حركة الفتح الإسلامي ودخول أمم كبيرة ذات ثقافات وفلسفات وأفكار متنوعة إلى الإسلام، اقتحمت المجامع والمدارس والحلقات الإسلامية أفكار وأسئلة ومناقشات لم تكن لها كبير أهمية أو اهتمام في ما مضى من عهد النبوة والخلافة الراشدة.

وقد انقسم المسلمون الجدد من غير العرب إلى فئتين:

الفئة الأولى : وهم الغالبية العظمى، كان الاقتناع والصدق في قبول الدعوة الجديدة هو أساس إسلامهم، حيث ألقى بعضهم بكل موروثاته من ثقافة وفلسفة وفكر، سلبيا كان أو إيجابيا، في سلة مهملات التاريخ، واكتفى بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله بشكل تام على نهج الصحابة الكرام .

وحاول البعض الآخر من هذه الفئة الأولى الاحتفاظ بالإيجابي فقط من موروثه في الفكر والثقافة والفلسفة والعلوم مع البحث عن ما يدعم هذا الموروث في آيات القرآن وأحاديث الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه وعليه وعلى آله، وعمل مع العلماء المسلمين العرب في نفس الوقت على تطوير وترجمة الإيجابي من هذه الثقافات والعلوم إلى اللغة العربية وإعادة صياغته بما يتلاءم وعقيدة الإسلام وشريعته فأضاف بذلك ثروة علمية وحضارية تراكمية إلى الثقافة الإسلامية امتد نفعها غربا وشرقا في كافة أرجاء المعمورة.

الفئة الثانية : وهي التي دخلت الإسلام رغبا أو رهبا دون اقتناع وصدق، فحاولت بعد ذلك : العمل من داخله على زعزعة أركانه وكان التشكيك في العقيدة ومحاولة طرح

الموروث السلبي من الفكر الخرافي والسفسطائي في مجرى العقيدة الإسلامية الصافي هو وسيلتها في تحقيق مأربها في إضعاف الإسلام على أمل العودة بالمسلمين كافة إلى الأديان والملل السابقة كل حسب دينه القديم وموروثه المنحرف.

هذه العوامل والمستجدات في مسائل العقيدة، فرضت على العديد من علماء المسلمين القادرين على مقارعة الخصوم بالحجة أن يعودوا بعقلية الفاحص الدارس المستنبط إلى القرآن والسنة وكلام السلف الصالح لاستخراج ما يدعم عقيدة التوحيد ويفند دعاوى الخصوم ويحمي عقائد المسلمين من اللبس والشك البلبلة.

وقد وجد بعض من هؤلاء العلماء أن خير وسيلة للنجاح وبلوغ القصد هو استخدام نفس أدوات وأساليب الفلاسفة والمناطقة من فرضيات ونظريات وبراهين عقلية ومناهج جدلية في مناظرة الخصوم ومقارعتهم بالحجة وتفنيد مزاعمهم وضلالاتهم وتشكيكهم، من واقع أن المناظر في الطرف الآخر كان يستخدم مثل هذه الفرضيات والنظريات والبراهين والتسلسل الجدلي بإجادة في الحوار والمناظرات الشفوية والمكتوبة، وأن هذه الأدوات هي قواعد الحوار المشترك مع الخصم ووسيلة التقرير والإلزام بين المتحاورين.

ورغم الفائدة الكبيرة التي عادت على الفكر الإسلامي بوجه عام من استخدام رسائل الفلسفة والمنطق في المناظرات مع خصوم الإسلام من الملل الكافرة والنِّحل لمنحرفة ومقارعة الحجة بالحجة دفاعا عن العقيدة الإسلامية، إلا أن الشطط والإفراط ب استخدام فرضيات الفلاسفة والمناطقة ونظرياتهم وأساليبهم في الجدل أدى عند بعض لفكرين الإسلاميين وخصوصا عند المعتزلة ، إلى حالة من العدوى المزمنة وإلى نوع من تقديس والعشق لتلك الفرضيات والنظريات والبراهين العقلية، واتجه بهم إلى الركون لطلق على العقل فقط، ورفض أو على الأقل استبعادِ الاعتماد على النقل من نصوص قرآن والسنة في مسائل العقيدة.

وفي مقابل هذا الغلو المطلق في الثقة بالعقل فقط إلى حد التقديس، ذهبت طائفة من سلمين في اتجاه معاكس برز في غلو وتطرف وحرفية في النقل لا تجيز تأويلا لبعض

النصوص أو مجازا تقتضيه ضرورة اللغة وواجبُ تنزيه الخالق ولا تقبل دليلا عقليا مهما كان منسجما مع نصوص المصادر الشريعة ومضامينها ودلالتها، ولا تفرق بين اتفاق بعض الأسماء والصفات في اللفظ وبين اختلافها في المعنى عند تنزيلها على الخالق أو المخلوق.

فَتِّشْ عن التطرف

لقد أدى التطرف ، والاصطفاف المغالي عند بعض الفرق الإسلامية، والسعي لنصر الذات وإبراز قدرتها وتفوقها وليس انتصارا للحق والعقيدة ، إلى اختراق هذه الفرق وتسلل العديد من العناصر المشبوهة والمتآمرة إليها.

ولا يخفى أن التطرف هو الباب الواسع الذي يدخل منه المشبوهون والمتآمرون إلى الفرق والمذاهب والجماعات في كل عصر ومصر، وهو الأداة الفاعلة التي يخترق بها المندسون والمتربصون كيانَ الأمة فيبرزون أكثر تطرفا وشططا وتعصبا في أدبيات واجتهادات أصحاب المذاهب والفرق ، ويتحركون دائما تحت راية هذا التطرف وينشرون شعاراته ويتنكرون في أزيائه ويحركون به أصحاب المذاهب والنحل متى وكيف وأين شاءوا.

لقد بدأ خروج الخوارج حنقا وتبرما على نتيجة التحكيم بعد وقعة صِفِّين وكان يمكن السيطرة عليه بالحجة والإقناع لولا التطرف والتشنج الذي مارسه بعض أولئك الغاضبين الحانقين مما فتح الباب على مصراعيه للمندسين والمتآمرين على العقيدة ليحولوا ذلك التيار الغاضب في النفس الإنسانية الذي كان سيثوب إلى رشده بعد حين لو التزم القصد وسمع بعقل ووعي توضيحات الإمام علي عليه السلام وابن العباس وغيرهم من أعلام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين- إلى وحش كاسر مدمّر سقى الإسلام والمسلمين لقرون عديدة وحتى هذه الساعة كؤوسا صبرة ، وهي النتيجة التي رآها سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله في حركة الخوارج بفهم النبيين وحفظ المرسلين وإلهام الوحي الإلهي، حين وصف أولئك الخوارج -بسبب من ذلك

التعصب والتطرف الذي أدى إلى فتنة عاصفة لا زالت آثارها السلبية بارزة وفاعلة حتى ليوم- بأنهم كلاب النار وبأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لايعودون له حتى يعود السهم إلى فوقه.

والتشيع بدأ انتصارا للإمام علي عليه السلام ودفاعا عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتفانيا في محبتهم وموالاتهم، وحنقا وتبرما مما لحق بهم من ظلم وقتل وتشريد وتنكيل ولعن على أعواد المنابر لعقود متصلة ، لكن التطرف والغلو الذي دخل المندسون والمشبوهون والمتآمرون من بابه إلى التشيع، انحرف ببعض الشيعة من محبة أهل البيت ونصرتهم إلى تجريح أو تشكيك في كبار الصحابة وفي بعض أمهات المؤمنين أو إلى باطنية مغالية ومعتقدات إلحادية كافرة.

والمعتزلة كانوا في بدايتهم أصحاب فكر جدلي منطقي متحمس وثقافة واسعة ناقدة استخدموها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وفي مواجهة خصوم الإسلام خصوصا من أصحاب الأديان المنسوخة وبعض أصحاب الثقافات الدينية الوثنية الذين دخلوا بتراثهم إلى الإسلام وأردوا نشره بين المسلمين، فكان للمعتزلة في البداية، جهد مشكور ودور محمود ونجاح مشهود في هذا المضمار ولأن الخصم في الطرف المقابل يرفض القبول بالنقل عن نصوص الإسلام كحجة عليه والمعتزلة يرفضون نصوص عقيدته أو ثقافته كحجة عليهم أو على الإسلام، كان لابد من لجوء الطرفين إلى قاسم مشترك مقبول منهما تمثل في الأدلة العقلية المحضة في المجادلة والحِجاج وكان النصر في الغالب حليف المعتزلة على خصومهم من أصحاب الأديان المنسوخة والنحل الوثنية.

لكن طول الجدل والحِجاج بالأدلة العقلية أدى بالمعتزلة كما قلنا آنفا إلى حالة من لعدوى المزمنة وإلى نوع من الشطط والإفراط والإغراق في استخدام تلك الفرضيات والنظريات والبراهين العقلية، واتجه بهم إلى الركون المطلق على العقل فقط ورفض أو على الأقل استبعادِ النقل من نصوص القرآن والسنة في مسائل العقيدة، وإلى تطرف تعصب ممقوت وإلى تقديس للعقل وإعجاب بالنفس واستعلاء على الغير فاعتسفوا تنطعوا كثيرا في مسائل العقيدة والآيات المتشابه بشكل أدى بهم إلى انحرافات خطيرة

كان من أبرزها رفض الأدلة النقلية من نصوص المصادر الإسلامية في مسائل العقيدة بل ومخالفتها في كثير من الأحيان من النقيض إلى النقيض، وإلى الاستقواء بالحُكَّام الذين ذهبوا مذهبهم كالمأمون العباسي وبعض من خلفه في الدولة العباسية لفرض معتقداتهم كما حصل في قضية خَلْق القرآن وغيرها من أصولهم الخمسة، بسوط السلطان وقهر القوة وإرهاب الدولة.

لكن مما يلفت الانتباه أن المجسمة والمشبهة الذين يسميهم أهل العلم بالحَشَوية والذين حملت الفرقة التي تسمي نفسها بالسلفية رايات تشبيههم وتجسيمهم بعد ذلك ، قد برزوا من حين ظهورهم في الوسط الإسلامي ، تيارا متطرفا ومشَبوها أسبغ على الله أوصافا ونعوتا كانت غاية في البشاعة والتصوير والتنفير، وجعلوه جسما يشبه خلقه في ذاته وصفاته، وجعلوه محلا للحوادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وعقيدتهم نقل شبه حرفي من عقائد اليهود والنصارى والمزدكية المجوسية.

وبسبب من الجهل والجمود الممزوجين بعقدة الاستعلاء وقع بعض الحنابلة في مستنقع الحشوية الموبوء بالتجسيم والتشبيه، وجاء بعض رموزهم بعظائم وفضائع من المعتقدات الضالة المشبوهة مثل القول بحوادث لا أول لها والاعتقاد بفناء النار وبتعدد التوحيد وبوجوب أن تحمل آيات المتشابه من القرآن الكريم على ظاهرها وأن نثبتها على حقيقتها مع نفي المجاز والتأويل، مع غمهات لهم مضللة لا معنى لها -بعد أن يغرقوا في مستنقعات التشبيه والتجسيم- ولا تجوز إلا على السذج مثل: (يد حقيقية تليق بذاته تعالى) أو (صعود حقيقي يليق بذاته) وغير ذلك من الخداع والتضليل.

وقد سلك أولئك النفر من الغلاة الحَشَوية مسلك الخوارج في تكفير كل من خالفهم في ضلالاتهم وتطاولهم على الله ورسوله ونصبوا أنفسهم أوصياء على الإسلام والمسلمين حيث مارسوا إرهابا فكريا وثقافة استبدادية كالتي مارسته الكنيسة الكاثوليكية ومحاكم التفتيش في أوربا مع المعارضين والمعترضين بشكل شبه تام.